الدمـار، كمـا وظّفت طاقـات عقلية في سبيل توليد الافكار التي تدفع الى الحرب (نشر تلك الافكار وتعميمها) أو تزيينها (البطولة) أو تقديسها (الشهادة). وكي لا نكون بعين واحدة، شكّل السلام في مسعى البشرية هاجساً نقيضاً للحرب. وكما وظفت طاقات عقلية لتبرير الحرب والدفع اليها، تنطحت طاقات عقلية للترغيب بالسلام وتبيان منافعه الانسانية، وتحديد أسسه كالحق والعدل، واشتراطه بالأخلاق. وكما كان للحرب ابطالها، كان للسلام أنبياؤه. وكما كانت الحروب محكومة بمصالح شعب أو فئة، كان السلام دعوة لمصلحة الجميع. وكما صارت الحروب، مع تشكّل الامبراطوريات، كونية، صارت دعوات السلام انسانية عامة.

آخر الحروب الكونية التي ما زلنا نتابع ذيولها هي «الحرب الباردة» التي استمرت نحو أكثر من أربعين عاماً، والتي لو تحوّلت الى حرب ساخنة لتسببت في نهاية الحياة على الكرة الارضية؛ وانتهت تلك الحرب الى انهيار أحد عملاقيها (الاتحاد السوفياتي)، مع احتفاظ ما بقي منه بأدوات الدمار، والى «انتصـار» العمـلاق الآخـر (الولايـات المتحدة الاميركية) مع كل «متطلبات» المنتصر المادية والمعنوية. وقد شكّلت السياسة الاميركية، عشية انهيار الاتحاد السوفياتي وبعده، معالم ومؤشرات لمستقبل هذه السياسة (الاستفراد بالقرار الكوني؛ اللجوء الى استخدام القوة والتهديد باستخدامها؛ التهديد بالحروب الاقتصادية واستخدامها أيضاً). وتكاد ترتسم خطوط للمنظور القريب في:

اولاً: انهـاء التهديد العسكري للولايات المتحدة الاميركية الذي يشكّله مخزون دول الاتحاد السوفياتي (سابقاً) من أسلحة الدمار الشامل.

ثانياً: ضبط النشاط الاقتصادي للدول المتطورة صناعياً في أوروبا الغربية وجنوب شرق آسيا وادراجه في النسق العام الاميركي لما فيه مصلحة الولايات المتحدة الاميركية.

ولانجاز هذه الاهداف الاميركية تعتبر منطقة الشرق الاوسط الاكثر حيوية، بما هي خزان للطاقة التي تشكل دم الدول الصناعية في أوروبا الغربية وجنوب شرق آسيا. وعليه، بات الاستقرار في منطقة الشرق الاوسط يشكّل ركيزة من ركائز السياسة الاميركية الكونية، انما ليس الاستقرار القائم على الاستقلال، بل الاستقرار المحكوم بالهيمنة الاميركية المدعومة بالسيطرة، ولذا كان النشاط السياسي الاميركي تجاه منطقة الشرق الاوسط خلال ربع القرن الاخير موجهاً بحيث يكون مقبولاً ومسيطراً. ويبدو ان ذلك تحقّق بنتائج الحرب الاميركية ضد العراق التي كانت شكلاً من أشكال السيطرة، كذلك كان مؤتمر مدريد للسلام شكلاً من أشكال الهيمنة، وكلا الامرين أدارتهما الولايات المتحدة الاميركية؛ وما كان للهيمنة ان تتحقق لولا بسط السيطرة.

أمّا الوجه الآخر لعملة السياسة الاميركية، فيتمّ فيه توظيف قدرات الولايات المتحدة الاميركية الاقتصادية مضافاً اليه قدرات حليفاتها من دول أوروبا الغربية وجنوب شرق آسيا للتفاوض مع دول الاتحاد السوفياتي (سابقاً) على حل مشكلاتها الاقتصادية في مقابل تدمير أسلحتها النووية.

وفي كلا وجهي العملة تشكـل منـطقة الشرق الاوسط موضوعاً محورياً لادارة هذا النمط من الصراع، يقابله استعداد وقبول لدى حكومات دول الشرق الاوسط للدخول في الاطار الاميركي، مع وجود بعض الاستثناءات التكتيكية (العراق وايران).

وَهْم الشريك الكامل

تعـارض الولايـات المتحـدة الاميركية «سياسة الربط» بين مشكلات الشرق الاوسط المتعددة